

١٨



# الحبيب والعزيز أبو سعيد

أبي عبد الله

الحبيب والعزيز

تأليف: د. عبد الله بن عبد الله بن عبد الله  
ترجمة: د. عبد الله بن عبد الله بن عبد الله  
تصميم: د. عبد الله بن عبد الله بن عبد الله

الكتاب الأول من سلسلة



استيقظت مكة ذات صباح على خبر إسلام «رملة» بنت  
أبي سفيان ، ولم يصدق الناس هذا الخبر وقالوا في دهشة :  
- كيف تترك بنت أبي سفيان دين آبائها ، وأبوها واحد  
من زعماء العرب وساداتها ، وأعدى أعداء محمد ؟

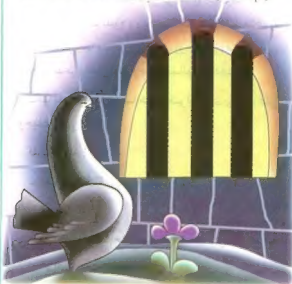
وحاول أبو سفيان أن يثنى ابنته عن الإسلام ويعيدها إلى  
الوثنية بكل السبل ، لكن محاولاته باءت جميعها بالفشل ،  
فقد أعلنت رملة تمسكها بالإسلام وقالت لأبيها في تصميم :  
- ما كان لي أن أعود إلى الظلمات بعد أن هداني الله للإيمان .

واشتد بطش أبي سفيان بابنته ، فحبسها وأخذ يعذبها  
عذاباً شديداً كي تعود إلى دينه ، لكنها تحملت العذاب في  
شجاعة وصبر .

وذات يوم أشارت على زوجها «عبيد الله بن جحش»  
بالتجربة إلى الحبشة فراراً من أذى أبيها وقومها ، فوافق  
عبيد الله ، وحمل زوجته وأمتعته وانجها إلى الحبشة  
مهاجرين في سبيل الله .

ومرّت الأيام ، وعاش الزوجان في سعادة ، ورزقهما الله  
بطفلة جميلة أسمياها «حبيبة» ، وأحاطتهما النجاشي ملك  
الحيثية ، كما أحاط كل مسلم ، برعايته وعطفه ، ووفر  
لهما الجو المناسب للعبادة والصلاة .

ولم تستمر سعادة الزوجة طويلاً ، فقد لاحظت تغيراً



كبيراً في سلوك زوجها ، إذ أصبح فجأة لا يفيق من الخمر ،  
وكلما راجعته زوجته ونصحتة بالتخلي عنها زجرها وقال  
في غضب :

— هذا شاني وحدي ، وإياك أن تحدثيني في هذا الأمر مرة ثانية .  
وبانت رملة طوال ليلها تفكر في أمر زوجها وما أصابه ،  
وفجأة استسلمت للنوم ، ولكنها قامت بعد قليل مذعورة  
وهي تستغفر ربها وتدعوه ، وحضر زوجها في وقت متأخر ،  
فلاحظ الذعر والقلق على وجهها فسألها في دهشة :

— ما بك يا رملة ؟ وما هذا الخوف الذي يرتسم على  
وجهك ؟

فقالت رملة :

— لقد رأيت الليلة رؤيا ما أبشعها !

فقال عبده الله :

— أمن أجل أضغاث أحلام تصنعين بنفسك كل هذا ؟

ثم أضاف في غير مبالاة :

وما هذه الرؤيا التي أَلْعَمَتْكَ إلى هذه الدرجة يا رَمْلَةٌ ؟  
وهلْ تَخْصُصُكَ أَمْ تَخْصِنِي ؟  
فَقَالَتْ رَمْلَةٌ :

— بلْ تَخْصُصُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، فَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي أَسْوَأِ صُورَةٍ  
وَأَشْوَهِ خَلْقَةٍ !  
فَضَحَّ عَبْدُ اللَّهِ بِالضَّحِكِ وَاتَّكَأَ عَلَى سَرِيرِهِ وَقَالَ فِي  
سُخْرِيَةِ :



— ليس هناك أسوأ مما صرنا إليه !

وتعجبت رملة لما تسمع فقالت لزوجها :

— ماذا تقصد بقولك يا أبا حبيبة ؟

فقال في جدّة :

— لقد جلب علينا دين محمد الشر ، ومنذ أتبعناه ونحن نعيش في ضيق ومعاناة .

فقالت رملة :

— هل كنا في ضيق وشر قبل أن نتبعه ، فلما آمنّا به شرح الله صدورنا ، وأنار قلوبنا وأبصارنا .

ثم سألت في قلق وريبة :

— ماذا تخفي علي يا عبيد الله ؟

فأجابها :

— لقد تركت دين محمد ، وآمنت بدين أهل الحبشة ،  
فقد كنت أدين به قبل أن أدخل في الإسلام .

ثم قال مهديدا :

- وأرى أن تفعلنى مثل ما فعلت ، وإلا فارقتك ، فإن ذلك

خير لنا



فَقَالَتْ رَمْلَةٌ :

— افْعَلْ مَا شِئْتَ ، فَمَا أَنَا بِأَلْتِي تُشْرِكُ الْإِسْلَامَ وَتَعُودُ  
لِلشُّرْكِ أَبَدًا ، وَوَاللَّهِ مَا هَذَا خَيْرٌ لَكَ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ وَخُسْرَانٌ .

وَأَخَذَتْ رَمْلَةٌ عَلَى هَذَا الْكَابُوسِ الْمَزْعُوجِ ، إِذْ رَأَتْ زَوْجَهَا  
وَأَنِيسَ وَخَدْنَتَهَا يَشْرِكُ دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَيَتَنَصَّرُ تَحْتَ تَأْثِيرِ  
الْخَمْرِ وَغَوَايَةِ الشَّيْطَانِ .. وَرَاحَتْ رَمْلَةٌ تَفَكِّرُ طَوِيلًا فِي  
مَصِيرِهَا .. هَلْ تَعُودُ إِلَى مَكَّةَ فَيُعَذِّبُهَا أَبُوهَا وَيَشْتُمُّ بِهَا  
قَوْمُهَا ؟ أَوْ تَبْقَى فِي بِلَادِ الْحَيْشَةِ وَتَعِيشَ فِي قِسْوَةِ الْغُرْبَةِ  
وَالْاِبْتِعَادِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ ؟ أَمَّا أَنْ تَتَنَصَّرَ كَمَا تَتَنَصَّرُ  
زَوْجَهَا لِكَيْ تَعِيشَ مَعَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا لَمْ تَفَكَّرْ فِيهِ عَلَى  
الْإِطْلَاقِ ، فَقَدْ كَانَ إِيمَانُهَا أَثْبَتَ مِنَ الْجِبَالِ !

وَأَغْلَقَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ دَارَهَا عَلَى نَفْسِهَا ، وَانْتَظَرَتْ مَا سَوْفَ  
تُسْفَرُ عَنْهُ الْأَيَّامُ ، وَتُظْهِرُهُ الْأَقْدَارُ . وَذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَبَيْنَمَا هِيَ  
غَارِقَةٌ فِي الْحُزَنِ إِذْ سَمِعَتْ مَنْ يَقُولُ لَهَا فِي الْمَنَامِ :

— لَا تَحْزَنِي يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ !

وَاسْتَبَقَطَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ وَأَخَذَتْ تَرُدُّ :



— أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ! هَلْ مَاصِيحٌ أَمَّا لِلْمُؤْمِنِينَ حَقًّا ؟

وَلَمْ تَعْرِ سِوَى أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ عَلَى هَذِهِ الرُّؤْيَا ، حَتَّى سَمِعْتُ  
أُمَّ حَبِيبَةٍ دَقًّا عَلَى الْبَابِ ، فَاسْرَعْتُ لِنَفْتَحَ ، فَإِذَا بِهَا بِجَارِيَةِ  
النَّجَاشِيِّ وَهِيَ تَقُولُ لَهَا :

— أَبْشُرِي يَا أُمَّ حَبِيبَةٍ . لَا يَدْعَاكَ إِلَّا مُنْقَلَبُكَ ، مَا عَطَّرَ بِهَا



فَقَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ :

- بِشْرَكَ اللَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ .

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ :

- إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُرْسِلَ إِلَيْهِ

لِيَزُوجَكَ لَهُ ، وَيَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَوَكَّلِي مِنْ يَزُوجُكَ !

وَلَمْ تَصْدُقْ أُمُّ حَبِيبَةَ أَذْنُهَا ، فَأَعْطَتِ الْجَارِيَةَ سَوَارِثَ مِنْ

فِضَّةٍ وَخَوَاتِمَ كَانَتْ فِي أَصَابِعِهَا وَقَالَتْ لَهَا وَهِيَ لَا تَقْدِرُ

عَلَى مُغَالَبَةِ دُمُوعِهَا :

- بِشْرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ ، وَهَدَى قَلْبَكَ لِلْإِيمَانِ .

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ :

- لَقَدْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَاتَّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ ،

وَأَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ إِذَا أَتَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْرِيهِ مِنِّي السَّلَامَ .

فَقَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ :

- أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأُرْسِلَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ

وجعلته ركبلاً عنها في رواجها من السيِّئَةِ ، وفي السماء  
 اجتمع المسلمون في قصر الدجاشي فقال لهم  
 - الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن  
 العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده  
 ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم .



أما بعد : فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد صدقتها أربعمائة دينار .

فأجابته خالد بن سعيد بن العاص وكيل الروجة قائلاً : - الحمد لله ، أحمدته وأسعيتُه وأسئصره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد : فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وروجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ وأنتهج المسلمون في الحبشة بهذا الزواج العظيم ، فقد جاء تنويجا لصبر أم حبيبة وصدقها وتمسكها بدين الله ، كما جاء ليخبرها بما كانت تعانيه بعد فراق زوجها لها وارثاده عن الإسلام ، فقد أصبحت زوجة لسيد ولد آدم ، وأما لكل المزمين .

وأعد النجاشي وليمة عظيمة ابتهاجا بهذه المناسبة ،



ودعَا إليها المسلمين وقال لهم :

ـ اجلسوا فإنَّ سُنَّةَ الأنبياء إذا تزوجوا أن يُطعموا طعاماً .

فجلس الصحابة وأكلوا ، وهنأ بعضهم بعضاً بهذا الزواج المبارك ، الذي ضرب به الرسول ﷺ المثل في السمر والعظمة والتعاطف مع المسلمين .



ولما أخذت أم حبيبة الصداق ، دعت جارية الملك ،  
وأعطتها خمسين ديناراً وقالت لها :

- إني كنت أعطيتك سوارتين من فضة حين بشرتني بهذه  
البشرى العظيمة ، ولم يكن عندي سواهما ، فهذه  
خمسون ديناراً فخذيهما واستعيني بها .

لكن الجارية أبت أن تأخذ منها شيئاً وقالت لها :

- بارك الله لك في مالك يا سيدي ، لقد أمرني الملك ألا  
أخذ منك شيئاً ، فقد كافأني بنفسه .

وأضافت الجارية :

- وقد بعثت إليك أزواجه بهذه العطور وهذه الأغواد  
الطيبة لتقدمي بها على رسول الله ﷺ .

وشكرت أم حبيبة الجارية ، وقبلت منها الهدايا التي  
أرسلتها أزواج الملك ثم سألتها :

- هل لك حاجة أقضيها لك ؟

فقالت الجارية :

— حاجتي إليك أن تُقرني على رسول الله ﷺ مني السلام ،  
وتعلميه أنني قد اتبعت دينه !

واستعدت أم حبيبة للرحيل إلى المدينة المنورة ولقاء  
الحبيب ﷺ في السنة السابعة للهجرة ، وحقق قلبها  
بالحب والإيمان وهي تركب راحلتها ، وفاضت عنهاها وهي  
تمضي في طريقها إلى رسول الله ﷺ .



وَرَفَّ أَهْلُ مَكَّةَ الْخَيْرَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ، وَانْتَظَرُوا أَنْ يَقَعَ  
مِنْ هَوْلِ الْمَفَاجِئَةِ ، إِذَا عَلِمَ أَنَّ ابْنَتَهُ تَزَوَّجَتْ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ،  
لَكِنَّهُمْ فُوجِئُوا بِهِ بِكَادٍ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحَةِ وَلَا يَصْدُقُ أَذُنِيهِ  
وَقَالَ فِي فَخْرٍ :

- هُوَ أَشْرَفُ الْعَرَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَحَقٌّ لَنْ يَصَاحِرَهُ  
مُحَمَّدٌ أَنْ يَفْخَرَ وَيَتَبَهَّ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا .

وَلَمْ يَجِدِ الْعَرَبُ مَا يَقُولُونَهُ تَعْلِيقًا عَلَى كَلَامِ أَبِي سُفْيَانَ  
سِوَى قَوْلِهِمْ :

- حَقًّا ، الْحَقُّ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ !

( تَمَّتْ )

الكتاب القلام

أم حبيبة رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ( ٢ ) مَكَاتِبُهَا بَيْنَ نِسَاءِ النَّبِيِّ

رقم الإيداع : ٥٢٣٢٦٤ - ٢٠

التاريخ الدولي : ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥